

خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية

حسين يوسف راشد عمري*

ملخص

كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. كان الله تعالى ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء. مباشرة بعد الانفجار العظيم، خلق الله السماوات السبع والأرضين السبع في ستة أيام. يرى المفسرون أن طول اليوم قد يكون ألف سنة، أو أنه بطول أيامنا الأرضية. مع نهاية اليوم الثاني اكتمل خلق الأرضين. ومع نهاية اليوم الرابع خلق الله رواسي من فوق الأرضين. ومع نهاية اليوم السادس اكتملت تسوية البناء السماوي الطبقي بعد أن استقلت طبقاته مكانياً وحرارياً. وبعد تمام خلق السماوات والأرضين، خلقت المجرّات والنجوم، وكرتنا الأرضية. وأخرج الله ضحى السماء بنور الشمس. ثم دُحيت الأرض؛ فأخرج الله منها الماء والمرعى. وينسجم هذا التسلسل مع ما أثبتته العلم من عمر للكون، وللشمس، وللكرة الأرضية.

Abstract

Allah has decreed creatures fates fifty thousand years before the creation of Firmaments and Aradean (not Earth). There were nothing except Allah, and his Throne was over the Waters. Right after the Big bang, Allah has created Firmaments and Aradean in six periods. Commentators suggest each period is either a thousand years or an Earthly-day long. Aradean's creation is completed in two periods. By the end of the fourth period, God created plenty of matter on the top most part of Aradean. By the end of the sixth period, the seven distinct and thermally decoupled Firmaments are given order and perfection. Later on, galaxies, stars, Sun, and Earth are created: Its splendour doth He bring out (with sun light). And the Earth, after that, Hath He extended. He draweth out therefrom its water and its pasture. This creation order is consistent with Ages predicted for Universe, Sun, and Earth.

* قسم الفيزياء، كلية العلوم، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية.

مقدمة:

بسم الله والحمد لله وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خير الخلق وخاتم الرسل وأشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

في الوقت الذي يحاول علم الكون (Cosmology) وعلم الفلك (Astrophysics) أن يفسرا كثيراً من المشاهدات، يتصور بعض العلماء أنه يلزمهم الإجابة عن بعض التساؤلات الفيزيائية الملحة: من أين جاء الكون؟ متى بدأ وكيف؟ ماذا كان قبل بدء الكون؟ إنها مجموعة من الأسئلة لا تزال مدار البحث لدى علماء الكون.

يلقي البحث ظلالاً على بعض هذه الأسئلة ضمن منهج يوائم بين العلم والدين. ويأتي البحث استجابة لأوامر الله: (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض) [يونس 110] وقوله تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) [العنكبوت 20]. والخالق سبحانه وتعالى يؤكد مصداقية وعظمة هذا الكتاب حين يقول (تزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى) [طه 4]. كما يقول سبحانه: (قل أنزلناه الذي يعلم السر في السماوات والأرض) [الفرقان 6].

إن الله هو الخالق العليم بكل شيء (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض) [البقرة 255]، ويقول تعالى: (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) [الحج 70]، ويقول تعالى: (ما أشهدكم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ...) [الكهف 51]. ويقول تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم* هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام...) [الحديد 3-4]. ويقول تعالى: (بديع السماوات والأرض) [البقرة 117]. إذن تقتضي الحكمة أن نفيد من العلم الذي أطلعنا عليه الخالق سبحانه وتعالى. ولا بد من منهج الربط بين العلم والدين بعامّة، وبين الدين وعلم الكون بخاصّة.

إن هناك حاجة إلى لجان تضم حقول المعرفة كافة حتى تفهم القرآن الكريم، وتستطيع أن تدرك معاني آياته (ونزلنا عليك الكتاب تبيناً لكل شيء وهدى ورحمة) [النحل 89]. إن القرآن كتاب هداية، وإليه ليعالج موضوعات كثيرة في فروع العلم؛ مما يؤكد الحاجة إلى جهود أصحاب هذه المعارف حتى يتعمق إدراكنا وفهمنا لآيات القرآن. كما أن أصحاب هذه العلوم بحاجة لدراسة القرآن كي ينطلقوا من الحقيقة القرآنية.

وقبل الشروع في البحث، أرجو أن لا يغيب عن أذهاننا جميعاً أن نتيجة البحث تعبّر عن فهم الباحث. هذا وإن القرآن الكريم وما صحّ من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - هما الحق، ولهما الصحة المطلقة.

يقع البحث في خمسة مطالب. المطلب الأول: مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض، المطلب الثاني: الأرضون السبع، المطلب الثالث: خلق الكون في ضوء التصوّص الشرعيّة والمعارف الكونية، المطلب الرابع: طول أيام الخلق بين التصوّص الشرعيّة والحقائق الكونيّة، المطلب الخامس توسع بناء السماء مستمرّ إلى يوم القيامة.

المطلب الأول : مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: "دخلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعقلت ناقتي بالباب. فأتاه ناسٌ من بني تميم فقال: اقبلوا البشري يا بني تميم. قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشري يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر. قال كان الله ولم يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كلّ شيء. وخلق السماوات والأرض. فنادى مناد: ذهب ناقلك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دوها السراب. فو الله لوددت أني كنت تركتها" [1].

جاء في الحديث الصحيح، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: (كتب الله مقادير الخلائق - إن الله قدّر مقادير الخلق - قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه - وكان عرشه - على الماء) [2]. قال مجاهد: (وكان عرشه على الماء) قبل أن يخلق شيئاً، وقال "بدء الخلق العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء" (3-6). وقال قتادة: (وكان عرشه على الماء) يبيّنكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السماوات والأرض (6). (وقال الطيّبي: أشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أن الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض (7)، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلا الماء (8، 9). وقال ابن عباس إنّما سمي العرش عرشاً لارتفاعه (6).

قد وضّح الحديثان الشريهان السابقان حالة مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض. وقد أورد العسقلاني في فتح الباري (9) قوله: "ووقع في الرواية التي في التوحيد (ثم خلق السماوات والأرض) ولم يقع بلفظ "ثم" إلا في ذكر خلق السماوات والأرض. وفي رواية مسلم "إن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء" (2). وهذا يؤيد رواية من روى

(ثم خلق السماوات والأرض) باللفظ الدالّ على الترتيب ... أشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أنّ الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقاً قبل خلق السماوات والأرض، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلاّ الماء ... والمراد بكان في الأوّل (كان الله) الأزليّة وفي الثاني (كان عرشه) الحدوث بعد العدم). وقد روى أحمد والترمذي وصحّحه من حديث أبي رزين العقيلي مرفوعاً (إنّ الماء خلق قبل العرش)، وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعدّدة (إنّ الله لم يخلق شيئاً ممّا خلق قبل الماء) ... إنّ أوّلية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش ... إلخ. هذا ويبيّن الفرع الأوّل من المطلب الثالث حالة مبدأ الكون كما يتصوّر علماء الكون والفلك.

المطلب الثاني: الأرضون السبع

يقول سبحانه وتعالى: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيء قدير) [الطلاق 12]. قرأ الجمهور (مثلهنّ) بالتصّب عطفاً على (سبع سموات) أو على تقدير فعل: أي وخلق من الأرض مثلهنّ (إنجاز حذف: أي وخلق سبعاً من الأرض) (10). وأورد القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (11): "(ومن الأرض مثلهنّ) يعني سبعاً".

هناك أحاديث يرّد فيها ذكر الأرضين بصيغة الجمع لا المفرد، ومن هذه التّصوص:

- عن عبيدالله بن مقسم أنّه نظر إلى عبدالله بن عمر كيف يحكي رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - قال: (بأخذ الله عزّ وجلّ سمواته وأرضيه بيديه فيقول: أنا الله - ويقبض أصابعه ويسطّحها - أنا الملك) حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرّك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله - صلّى الله عليه وسلم -؟ (12).

- عن عبيدالله بن مقسم عن عبدالله بن عمر قال رأيت رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - على المنبر وهو يقول: يأخذ الجبار عزّ وجلّ سمواته وأرضيه بيديه ثمّ ذكر نحو حديث يعقوب (13)

- وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - فقال يا محمد إنّنا نجد أنّ الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي - صلّى الله عليه وسلم - حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثمّ قرأ رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - (وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى

عمًا (يشركون) (14). وقد خُرجَ الحديث في عددٍ من مصادر السنة (15-19). يؤكّد الحديثُ أنّ الأرضين غير الثرى؛ حيث أنّ الثرى هو التراب. يتبيّن ذلك من كون الأرضين على إصبع والثرى على إصبع.

تبيّن الآية الكريمة (والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة) ما أكّده الأحاديث السابقة من أنّ حال الأرضين يوم القيامة هو القبض والطّي، والمراد بالأرض الأرضون السبع (20-27). وأنّ حالة القبض هذه لا تحصل إلا يوم القيامة (28). أمّا حالهنّ في الدنيا ففتق وبسط (28، 29)؛ بعد أن كانتا رتقاً عند بداية الخلق (أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) [الأنبياء 30].

هناك أحاديث تحدّد عدد الأرضين بسبع، ومن هذه الأحاديث:

- روى البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال النبيّ -صلى الله عليه وسلم- : (من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) (31).
- وفي الصحيحين عن سعيد بن زيد -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (من ظلم من الأرض شيئاً طوّقه من سبع أرضين) (30).
- وروى الشيخان عن عائشة -رضي الله عنها- أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من ظلم فيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين) (32-40).
- "من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين".
- "لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقّه إلا طوّقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة".

يتّضح من هذه النصوص ذكرُ الأرضين وهي المقصودةُ في الحكم العام. والعدد كالوصف لها. أي أنّ عاقبة ظلم الأرض -أخذها بغير وجه حقّ- الخسف بمرتكبه يوم القيامة إلى الأرضين التي هي سبع. وهذا ما تقوله اللغة في أحكام العدد (41). ويبيّن الحديثان السابقان أنّ حال الأرضين يوم القيامة هو القبض في جهة السفل (28). ودليله (من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) (30).

ومن هذا القبيل قوله سبحانه وتعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) [البقرة 29]. تشير الآية إلى أنّ حال الأرضين عند بداية خلقهنّ هو القبض والرتق في جهة السفل. وهو ما تشير إليه الآية:

(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففقتنهما) [الأنبياء 30]. أي كان الجميع متصلاً بعضه ببعض في ابتداء الأمر.

المطلب الثالث: خلق الكون في ضوء التصوص الشرعية والمعارف الكونية

الفرع الأول: الكون الواسع المتوسع وإشعاع الخلفية

يرى علماء الكون صحة نموذج الكون المتوسع؛ فقد خلق الله الكون واسعاً ومتوسعاً (Inflationary Universe) (42). وهذا يتفق مع الآية الكرمة (والسّماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون) [الذاريات 47]. يقول علماء التفسير إن الله عز وجل قد خلق السماء واسعة (43-48). كما ويقولون أن السماء آخذة بالتوسع (49-60). يتصور علماء الكون أن التوسع نتيجة لانفجار عظيم حدث لكثلة يزعم علماء الكون أنها ذات كثافة عالية جداً (61).

لا نريد أن نقول أكثر من هذا فيما يخص حالة الوجود قبل خلق السماوات والأرض، لأن هذه المسألة خارج نطاق الطبيعة (metaphysics). وعليه يكون الاعتماد هنا على النص الثقلي فقط، مما يجعلني أرجح أن مادة الخلق هي الماء، وليست مادة أخرى ذات كثافة كبيرة جداً. وهذا ما قد يشير إليه الحديثان السابقان: (.. كان الله ولم يكن شيء غيره. وكان عرشه على الماء ..) (1). (إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء) (2).

يرى علماء الكون أن درجة الحرارة 3K لإشعاع الخلفية الكوني (Three Degree cosmic Background radiation) مؤشر على أن درجة حرارة الكون كانت مرتفعة جداً عند بدء خلقه (62). كما أن درجة حرارة الكون قد انخفضت بسبب توسعه (63). يشير قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) [فصلت 11]، إلى ارتفاع درجة حرارة الكون خلال أيام خلقه المبكرة. ويسدل على التوسع قوله تعالى: (والسّماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون) [الذاريات الآية 47]. ومما يؤكد كلاً من التوسع والتبرّد المصاحبين لخلق الكون قوله تعالى: (ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسوّاها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) [النازعات الآيتان 27-29]. إن التفسير الفلكي لظلمة الليل (وأغطش ليلها) هو التوسع الذي ينتج عنه تبرّد الكون ومجاوبته لحالة الاتزان الحراري الترموديناميكي (60).

وأحاول هنا أن أقول وبالله التوفيق: ليس بعيداً أن يكون بعض الماء -الذي كان عليه عرش الرحمن- هو مادة خلق الكون. لعل قول كل من مجاهد وقتادة والطّيبي في تفسير العبارة الحديثية (وكان عرشه على

الماء) يشير إلى أن الذي كان تحت العرش فيزل إليه أمر التدبير والتكوين منه هو الماء (7، 8، 64، 65). والذي هو أصل جميع الأحياء (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) [الأنبياء 30].

لعلنا نجمل فنقول وبالله التوفيق: في مادة مبدأ الخلق والوجود حدث الانفجار العظيم، ليبدأ خلق الكون واسعاً ومتوسعاً [42، 60، 66]. علا وسما بعض الإشعاع والجسيمات الأولية للمادة (Radiation and elementary particles)، وسُمي هذا العلو من مزيج الإشعاع والجسيمات الأولية سماء، وهو ما تسميه كتب التفسير دخاناً (4، 67). لقد كانت درجة حرارة الإشعاع T مرتفعة جداً. وبفعل الاندفاع الناجم عن الانفجار يتوسع الكون، فننخفض درجة الحرارة (61). وتبدأ المادة بالتشكل، وتكون المادة والإشعاع مقرونين (Matter and radiation are coupled)؛ لهما نفس درجة الحرارة. وعندما تنخفض درجة الحرارة إلى أقل من 3000 K كلفن يبدأ التمايز (Decoupling) بين الإشعاع والمادة (68، 69). وينشأ عن التوسع والتبرّد خلق البناء السماوي الكروي الطبقي بسبب تجمع المادة وهي في حالة البلازما في مستويات مختلفة للطاقة (60). هذا إن كلنت مادة بناء السماء هي مادة نيوكليونية (Nucleonic).

الفرع الثاني: خلق السماء والأرض في ضوء التصوص الشرعية

يقول تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) [البقرة 29].

في اللحظة التي تلت الانفجار بدأ أيضاً خلق الأرض (الأرض بمعنى جهة السفلى؛ أي الأرضيين السبع) (7). ويراد بجهة السفلى الاتجاه نحو مركز الكون، ويُقصد بجهة العلو الاتجاه نحو السماء. وقد تابنت الشروحات التي قدّمها المفسرون لهذه الآية الكريمة بين الاختصار والإسهاب؛ هذا وإن كانت أقوالهم تدور حول محور واحد: جاء في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (70) ما فحواه: "لما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً - أي الإشعاع والجسيمات الأولية - ... وخلق سبحانه وتعالى السماوات السبع والأرضين السبع من الماء ودخانه ... (ثم استوى إلى السماء): السماء تدل على السماوات، فهي بمعنى الجمع ... إنهن كن سبعة غير مستويات فلذلك قال جل ثناؤه: (فسواهن): هيأهن ودبرهن وقومهن، ثم دحا الأرض بعد ذلك".

وقد أورد أبو حيان في تفسيره البحر المحيط في التفسير (71): "قيل: (جميعاً) حال مؤكدة من كلمة (ما)، ولا دلالة لها على الاجتماع الزماني، وهذا بخلاف معاً (72). وبما أن الآية تذكر جزيلاً نعمه

سبحانه ووفرها، فإنهم لم يجعلوها حالاً من ضمير لكم لأنه لتعداد النعم دون المنعم عليه، ولنفس الاعتبار فإنهم لم يجعلوها حالاً من الأرض أيضاً.

ونقول: لا مانع من كون جميعاً حالاً من كلمة (ما). ويراد بما في الأرض أجزاؤها المركبة منها. أي خلق لكم ما في الأرض من أجزاء مجتمعة. هذا وإن الناظر إلى الآية السابقة من السورة ذاتها (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) [البقرة 28] يلاحظ أن السياق القرآني يستعرض الخلق والإحياء والإماتة والبعث زيادة على ذكره جزيل نعمه سبحانه ووفرها. وعليه - والله تعالى أعلم - فإن جميعاً قد تُعتبر حالاً من الأرض أيضاً. ويدل على ذلك قوله جلّ وعلا: (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) [الأنبياء 30]. (رتقاً) أي كان الجميع متصلاً بعضه ببعض متلاصقاً مترابطاً بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر (65، 68، 73).

وأقول: إن السماوات والأرض كانتا رتقاً في بداية خلقهما، ثم فتقت السماء الدخانية في مستويات مختلفة للطاقة، لتشكل أصلاً لخلق طبقات البناء السماوي (60، 74)، كما أن الأرض فتقت سبعاً (28، 74، 75). إذن ليس هنالك ما يمنع أن تكون كلمة (جميعاً) حالاً من الأرض، بل لعلها كذلك. وعندها يكون الخلق الذي تحدثت عنه الآية: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) هو خلق الله - سبحانه وتعالى - وإيجاده للمادة الأولية في الأرض (بمعنى جهة السفل؛ أي الأرضين السبع) عندما كانت الأرض رتقاً، وهذه المادة ضرورية لمراحل الخلق التي جاءت متأخرة. وسيُضح لاحقاً أنه في حالة الرتق لم يكن الماء أو الزرع أو الحيوان أو الإنسان مخلوقاً بعد. بل إن بحرّتنا ومجموعتنا الشمسية وكرتنا الأرضية لم يكن شيء منها مخلوقاً آنذاك.

وإحال الزمخشري في تفسيره الكشاف لا يخالف هذا لقوله: "فإن قلت: هل لقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة؟ قلت: إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء (76) كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك، فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية (77). وهو عين ما قاله كثير من أئمة التفسير (78-80).

ويتابع أبو حيان - رحمه الله - فيقول: "فتتق هذه من هذه فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء" (81). ويؤكد أبو حيان أن الأرض كانت رتقاً ثم فتقت، ومن ثم فهذا حجة عليه حين يقول: فإنهم لم يجعلوها - جميعاً - حالاً من الأرض. ويورد قول ابن عباس: "فتتق السماء بالماء فأمرت السماء، وفتق الأرض بالثبات فأثبتت الأرض" (65).

ويرى الباحث أن هذا البعد الأخير للفتق ليس هو عكس مدلول الرّفق من كون الجميع متّصلاً ببعضه ببعض متلاصقاً متراكماً بعضه فوق بعض، إلا أن يراد أن خروج الثّبات من كرتنا الأرضيّة سبّب تفتّت قشرها. وأن السّحاب - السّماء هنا بمعنى السّحاب - كان في حالة الرّفق بسبب ارتفاع الحرارة، ومع التّردّد تكاثف في غيوم فانفتق عنها الماء.

ويتصوّر بعضُ المفسّرين أن ماهيّة الخلق الّتي تتحدّثُ عنها الآيةُ الكرّمة (هو الّذي خلق لكمّ ما في الأرض جميعاً) هي تقديرُ خلق الأشياء لأنّ المخلوقات لم تخلق كلّها في ذلك الوقت، وذلك أنّ كلّاً من الحيّاتين النباتيّة والحيوانيّة تحتاجُ إلى مقومات: من خلقٍ للشمس، زيادة على كون كرة الأرض مدحوة ممّهدة لإنبات الزّرع ولحياة الحيوان. يرى الباحث أنّ المفسّرين ربّما لجأوا إلى هذا القول بسبب عدم معرفتهم المعنى الدّقيق للعبارة القرآنيّة (الأرض جميعاً). هذا ويوافقهم الباحث الرّأي من أن دحو كرتنا الأرضيّة جاء متأخّراً. فلقد كان بعد انقضاء أيّام الخلق السّتّة، وبعد تمام تسوية بناء السّماء، ومتأخّراً عن إخراج ضحى السّماء بنور الشّمس (82-90). ودليل ذلك قوله تعالى: (ءأنتم أشدُّ خلقاً أم السّماء بناها* رفع سمكها فسوّاها* وأغطش ليلها وأخرج ضحاها* والأرض بعد ذلك دحاها* أخرج منها ماءها ومرعها) [لنازعات الآيات 27-31].

وعليه، يمكن القول بتقدير خلق الأشياء، أن المقصود من الآية هو كذلك الخلق للمادّة الأوّليّة في الأرض جميعاً (أي في الأرضين السّبع مجتمعة) (76-80). وذلك أنّ تقدير مقادير الخلق قد سبق خلق السّماوات والأرض بدليل الأحاديث الّتي سبقت الإشارة إليها (1، 2). ففي رواية مسلم (إن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء). وعليه يكون الخلق هو للمادّة الأوّليّة في الأرضين السّبع مجتمعة، أمّا كوكب الأرض فلم يكن مخلوقاً آنذاك.

وفي معرض تفسير الآية: (ثمّ استوى إلى السّماء وهي دخان)، ذكر أبو حيّان (72): "والعطف ب (ثمّ) يقتضي التراخي في الزّمان، ولا زمان إذ ذاك". وأقول لا بُدّ من الوقوف على عبارته "ولا زمان إذ ذاك". ففي الحديث: (إن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السّماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكلّان عرشه على الماء) (1، 2، 3، 9). إن هذا الحديث يؤكّد أنّ للزمان والمكان وجودهما قبل خلق السّماوات والأرض، لكنّ بعض وحدات الزّمان الّتي نعرفها الآن من اليوم والليّلة والشّهر والسّنة لم تكن مخلوقة آنذاك؛ إذ هي ناجمة عن حركتي الأرض والقمر في مقابل الشّمس. ولعلّ هذا الّذي أراد أن يؤكّده أبو حيّان بعبارته "ولا زمان إذ ذاك". وكذلك فإنّه لا يجوزُ فيزيائياً الحديث عن أحداث في الكون من دون مفهوم المكان والزّمان (91). ولا يرى الباحث أنّ أبا حيّان يقصد أن الله - سبحانه وتعالى - يخلق في لحظة

(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس 82]. فَإِنَّ الْحِكْمَةَ وَالْمَشِيئَةَ الرَّبَّانِيَّةَ اقْتَضَتْ أَنْ يَسْتَعْرِقَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَاءً زَمَنِيًّا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) [هود 7]. وَالْحِكْمُ كَثِيرَةٌ: فَمِنْهَا تَبَرُّدُ الْكَوْنِ (92)، وَرَتَابَةٌ وَتَسْوِيَةٌ بِنَاءِ السَّمَاءِ (60)، وَمِنْهَا تَعْلِيمُ الْعِبَادِ الرَّفَقَ وَالتَّثَبُّتَ فِي الْأُمُورِ، وَلَأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَهُ أَجَلًا (93).

وَيَتَابَعُ أَبُو حَيَّانُ قَوْلَهُ (94): "قِيلَ أَشَارَ ب (ثُمَّ) إِلَى التَّفَاوُتِ الْحَاصِلِ بَيْنَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي الْقَدْرِ - أَيَّ أَنَّهَا تَفِيدُ التَّرَاخِي الرُّتْبِي -. وَقِيلَ: لَمَّا كَانَ بَيْنَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ أَعْمَالٌ مَنْ جَعَلَ الرِّوَاسِي، وَالرِّكَكَةَ فِيهَا، وَتَقْدِيرَ الْأَقْوَاتِ (فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ)، عَطَفَ ب (ثُمَّ)؛ إِذْ بَيْنَ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالْإِسْتَوَاءِ تَرَاخٍ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ" (95). إِنَّ قَوْلَ أَبِي حَيَّانٍ هَذَا بِحَاجَةٍ إِلَى تَوْضِيحٍ. إِنَّ جَعْلَ الرِّوَاسِي (بِمَعْنَى خَلْقِ الْجِبَالِ) مُتَأَخِّرٌ كَثِيرًا عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ. لَذَا فَالْآيَةُ هُنَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَرْضِ. بِمَعْنَى جِهَةِ السَّقْلِ؛ أَيَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا كَرَةَ الْأَرْضِ الَّتِي نَعِيشُ عَلَيْهَا. وَعَلَيْهِ، فَالْمُرَادُ بِالرِّوَاسِي هُنَا هُوَ الْمَادَّةُ الْكَوْنِيَّةُ الَّتِي بَدَأَتْ تَتَشَكَّلُ فِي الْجُزْءِ الْعُلَوِيِّ مِنَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ. أَمَّا إِذَا فَسَّرْنَا الرِّوَاسِي بِالْجِبَالِ، فَهَنَا لَا مَفْرَءَ مِنَ الْقَوْلِ بِالتَّقْدِيرِ؛ لِأَنَّ كَرَةَ الْأَرْضِ لَمْ تَكُنْ قَدْ خُلِقَتْ.

وَتَهْيِئَةً بَيْنَ يَدَيْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ)، أَقُولُ: إِنَّهُ لِلتَّرَاخِي الزَّمَانِي ضَرُورَتُهُ: فَمِنْهَا كَيْ يَكُونَ الزَّمَنُ كَافِيًا لِنُتُوسَعِ الْكَوْنِ؛ وَبِالتَّالِيِ انْخِفَاضِ دَرَجَةِ حَرَارَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَكَثُّفِ فِتْرَةٍ وَتَمَاسُكِ لَطَبَقَاتِ الْبِنَاءِ السَّمََاوِي فِي الْيَوْمَيْنِ الْآخَرَيْنِ مِنَ أَيَّامِ الْخَلْقِ السَّتَّةِ (60، 92).

وَيَتَابَعُ أَبُو حَيَّانُ قَوْلَهُ (96): إِنَّ الضَّمِيرَ فِي (فَسَوَّاهُنَّ) عَائِدٌ عَلَى السَّمَاءِ عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ سَمَاوَةٍ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ فَيَصْدُقُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمْعِ، وَيَكُونُ مُرَادًا بِهِ هُنَا الْجَمْعُ ... وَظَاهِرُ الْقَوْلِ أَنَّ الَّذِي اسْتَوَى إِلَيْهِ هُوَ بَعِينُهُ الْمُسْتَوِي سَبْعَ سَمَوَاتٍ؛ ذَوَاتِ حُبْلٍ وَحُسْنٍ وَاسْتَوَاءٍ. وَقَدْ أَعْرَبَ بَعْضُهُمْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَدَلًا مِنَ الضَّمِيرِ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وَهُوَ إِعْرَابٌ صَحِيحٌ، نَحْوُ: أَخَوُكَ مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ، وَأَجَازُوا فِي سَبْعِ سَمَوَاتٍ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، وَالتَّقْدِيرُ فَسَوَّى مِنْهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، وَمِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى. أَمَّا مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، فَإِنَّ سَوَّى لَيْسَ مِنْ بَابِ اخْتَارَ، فَيَجُوزُ حَذْفُ حَرْفِ الْجَرِّ مِنْهُ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى فَلَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَثِيرَةٌ (أَيَّ تَزِيدَ عَلَى السَّبْعِ)، فَسَوَّى مِنْهُنَّ سَبْعًا، وَالْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ الْمَعْلُومُ أَنَّ السَّمَوَاتِ سَبْعٌ. وَأَجَازُوا أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِسَوَّى، وَيَكُونُ مَعْنَى سَوَّى: صَيَّرَ، وَهَذَا لَيْسَ بِجَيِّدٍ، لِأَنَّ تَعْدِي سَوَّى لَوَاحِدٍ

هو المعلوم في اللغة؛ (فسواك فعدلك) [الانفطار 7]، (بلا قادرين على أن تُسوِّي بنانه) [القيامة 4]. وأما جعلُها بمعنى صير، فغير معروف في اللغة [97].

إنَّ غالبية آراء المفسرين تؤكد معنى التسوية الذي أشار إليه أبو حيان (98-103). وأضاف بعضُ المفسرين (104-105) أن قوله تعالى (فسواهنَّ): أي فصيرهنَّ، كما في آية أخرى (فقضاهنَّ). إنَّ قوله تعالى (فقضاهنَّ) [فصلت 41]: أي صنعهنَّ وأظهرهنَّ وأوجدهنَّ وصيرهنَّ وأحكمهنَّ وفرغ من خلقهنَّ سبعاً (106-114). وعليه، يرى الباحث أن قوله تعالى: (فقضاهنَّ) ليس بمعنى قوله تعالى (فسواهنَّ). والشاهد أن قوله تعالى: (ء أنتم أشدُّ خلقاً أم السَّماءُ بناها) * رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا [النازعات 26-27] يدلُّ على أن التسوية قد أعقبت الخلق وهي غيره.

بعد هذه المقدمات، نقول وبالله التوفيق: إنَّ القول الراجح للمفسرين في الآية الكريمة (فسواهنَّ سبع سموات) أن التسوية تعني إحكامهنَّ وتعديل خلقهنَّ وتقويمه وإخلاءه من العوج والفتور، وإتمام خلقهنَّ وتكميله، وجعلهنَّ سواء، بمعنى تسوية سطوحهنَّ بالإملاس؛ فليس فيهنَّ مرتفع ولا منخفض. فقد أتمهنَّ سبحانه واتفق إنشاءهنَّ (94، 98، 115). وفي تفسير قوله تعالى: (رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا) [النازعات الآية 27]، يقول الفخر الرازي (116): "أنَّ هذا يدلُّ على كون السَّماء كرة، لأنَّه لو لم يكن كرة لكان بعض جوانبه سطحاً، والبعض زاوية، والبعض خطاً، ولكان بعض أجزائه أقرب إلينا، والبعض أبعد، فلا تكون التسوية الحقيقية حاصلة، فوجب أن يكون كرة حتَّى تكون التسوية الحقيقية حاصلة". وتعبيراً على كلامه هذا، فإنني أؤكد أن السَّماء محيطة بالأرض، بل لعلها قشرة كروية (Spherical shell) كما أشار الرازي. إلّا أنَّ مجرتنا قريبة جداً من بناء السَّماء، وبعيدة جداً عن مركز الكون (28، 60، 117، 118). لذا لا يوجد تعارض بين كون السَّماء قشرة كروية مستوية، وبين كون بعض أجزائها أقرب إلينا من بعضها الآخر. إنَّ إشعاع الخلفية الكوني يؤكِّد أن السَّماء الدُّنيا قشرة كروية نصف قطرها 13 بليون سنة ضوئية (119). إنَّ البناء الكروي يعكس كون إشعاع الخلفية مثنائ المناحي الاتِّجاهية (Isotropic)، وذلك أن التغيرات في درجة حرارة إشعاع الخلفية هو فقط حوالي 5×10^{-4} من القيمة المتوسطة لدرجة حرارة الإشعاع (120-122).

ومَّا يشير إلى هذا التسلسل في الخلق وبشكل واضح قوله تعالى: (قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين) * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين * ثم استوى إلى السَّماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو

كرها قالتا أتينا طائعين* فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)[فصلت 9-12].

لعل المراد بالأرض ما في جهة السفّل (أي الأرضين السبع). أمّا الكرة الأرضية فربّما كان قد خلّق أصلها ومادّتها (123). وقالوا أريد باليومين هنا فترتين زمنيتين (123-124). وذكروا أنّ الرّواسي هي الجبال، وقيل المراد يجعلها إبداعها بالفعل، وفي الإرشاد المراد تقدير الجبل لا الجبل بالفعل (125). يؤكّد علم الكون أنّ القول بإبداعها بالفعل غير صحيح، فإنّ خلق كرة الأرض نفسها قد جاء متأخراً عن خلق السماء.

إنّ القول بإيجاد الرّواسي يُفسّرُ بغير الجبال. ويتفق هذا مع ما ذكره أبو حيّان في البحر المحيطة من أنّ دحو الأرض غير خلقها، وقد تأخّر عن خلق السماء. وأنّ جعل الرّواسي (الجبال) والبركة في الأرض، وتقدير الأقوات لا يمكن إدخالها في الوجود إلّا بعد أن صارت الأرض موجودة (126). وإنّ تقدير الخلق قد سبق الخلق بخمسين ألف سنة (1، 2، 3، 9). لذا يرى الباحث أنّ قوله سبحانه (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) قد يشير إلى المادّة المظلمة (Dark matter) التي بدأت تتشكّل وتتكوّن وترسو في الجزء العلوي من الأرض (الأرض بمعنى جهة السفّل). أي المادّة التي بدأت تتشكّل في أعالي الأرضين السبع؛ أي في الأماكن الأقرب إلى الحيز الداخلي للبناء السماوي الأوّل (28، 60، 127). وهذه المادّة هي أساس بناء الأرض العليا بعد فتح الأرضين (28). ويراد بالأرض العليا تلك التي تحتضن بحيرة درب التبانة؛ التي توجد فيها مجموعتنا الشمسية (28). ودليل هذا الفهم قوله سبحانه: (وجعل فيها رواسي من فوقها). وقد اختار بعضهم أنّ خلق السماء مقدّم على خلق الأرض، وأنّ الخلق في الآية تقدير وقضاء الله أن يخلق كرة الأرض (76) في يومين، ولا يراد به التكوين والإيجاد. وهذا نظير قوله سبحانه (إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران 59]، ومحال أن يقال للشّيء الذي وجد كن، بل الخلق عبارة عن التقدير (128، 129). وقوله تعالى: (وقدر فيها أقواتها): أي يبيّن خصائص الأرض وقدر أرزاق ساكنيها ومعاشيهم من الجبال والأنهار والمياه والأشجار ... وقوله (في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين) أي كلّ ذلك من خلق الأرض (جهة السفّل؛ أي الأرضين السبع) وتقدير خلق كرتنا الأرضية وما تبعه من تقدير إحلال البركة وتقدير الأقوات كائن في تمام أربعة أيامٍ - باليومين المتقدّمين - كاملة مستوية لا زيادة فيها ولا نقصان (130). وقوله سبحانه (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي استوى إلى مادّة البناء السماوي وهي في حالة الدخان (Coupled matter and radiation). وقوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا) أي إتيان ما فيهما ممّا ذكر من المنافع، وقيل بيان

كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير. (طوعاً أو كرهاً) تمثيلاً لتأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك. (قالنا أتينا طائعين) أي منقادين كما أمرنا على مقتضى الحكمة البالغة. (ففضاهن سبع سموات في يومين) أتقن أمر السماوات حسبما تقتضيه الحكمة البالغة من جعلهن سقفاً مسوياً محفوظاً مقبباً في يومين. وهنا تكون أيام الخلق الستة قد اكتملت وانتهت.

ويقول سبحانه: (وأوحى في كل سماء أمرها) وبعد انتهاء الأيام الستة لخلق السماوات والأرض، خلق في كل سماء منها ما استدعت له من الأمور التي هي قوامها وصلاحها، واقتضت الحكمة أن يكون فيها من الملائكة. وأود الإشارة هنا إلى أنه بعد انتهاء الأيام الستة لخلق السماوات السبع والأرضين السبع قد جاء متأخراً خلق المجرات والتجوم والشمس وكرتنا الأرضية (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً). وبعد خلق الشمس أخذت كرة الأرض شكلها البيضي ودحيت وجعلت مهاداً وقراراً لأهلها (ءأتتكم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفّع سمكها فسوّاها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحّاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجنّال أرساها). ودحو الأرض بمعنى كرتنا الأرضية، أو بمعنى الأرض العليا كون مجرتنا جزءاً من الأرض العليا (٢٨) مفسراً بقوله تعالى: (أخرج منها ماءها ومرعاها). ويقول الألوسي مؤكداً هذا الفهم: "وأما تقدير أقوات الأرض وإعطاء البركة وتوليد المتولدات، فلها أيسلم معدودات وحدود محدودات لا تدخل في أيام خلق السماوات والأرض" (131).

المطلب الرابع: طول أيام الخلق بين التصوص الشرعية والحقائق الكونية

يقول تعالى: (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء). لعل الأيام الواردة في هذه الآية ليست الأيام التي نعرفها بطول أربع وعشرين ساعة، إنما قد تعني فترةً زمنية. هذا ويُرجح أن طول اليوم الواحد من أيام الخلق هذه هو ألف سنة مما نعدُّ (2) مصداقاً لقوله تعالى: (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون) [الحج 47]. ويرى بعض المفسرين أن كون اليوم بطول أقل هو أكمل وأتم في إظهار القدرة الإلهية على الخلق (123).

إذا كانت مادة خلق السماوات السبع (60) والأرضين السبع (28) هي مادة نيوكليونية (nucleonic)، فإن أيام الخلق الستة يجب أن تكون طويلة؛ لعل طول اليوم الواحد منها ألف سنة مما نعدُّ. أمّا إذا كانت مادة خلق السماوات السبع والأرضين السبع هي مادة غير نيوكليونية (nonnucleonic) تستقل عن الإشعاع بدرجة حرارة خاصة، فقد يكون طول اليوم من أيام الخلق بمقدار طول أيام الدنيا.

روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدي فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) (132).

إن هذا الحديث الصحيح ليس موضوعه الحديث عن الأيام الستة الخاصة بخلق السماوات السبع والأرضين السبع. وأردت أن أبين هذا حتى لا يحتج به على طول أيام خلق السماوات والأرض. إن الأيام الواردة في هذا الحديث هي أيام الأسبوع السبعة التي نستعملها حالياً. ويدل على هذا العبارة (فيما بين العصر إلى الليل). كما يدل عليه أن الجن كانوا يسكنون الأرض قبل خلق آدم عليه السلام، فلا يعقل أنهم سكنوها قبل خلق آدم -عليه السلام- فقط بأقل من يوم واحد. ومما يقوي هذا الفهم أن الحديث ليس فيه إشارة إلى خلق السماء. وإن الله سبحانه وتعالى دحا الأرض وأخرج منها ماءها ومرعاها بعد تمام خلق السماوات والأرض. وكذلك نقول إن الله -سبحانه وتعالى- قد أخرج ضحى السماء بنور الشمس بعد تمام أيام الخلق الستة. لذا فإن الأيام الواردة في الحديث هي من أيام دحو الكرة الأرضية، وليست من أيام الخلق الستة التي خلق الله خلالها الكون بسماواته وأرضيه ومادة أصل خلق المدائن والعميران والخراب (131-134). إن قوله تعالى: (ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لِبَاسَهَا * وَأَخْرَجَ ضَحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاعَهَا وَمَرْعَاهَا) [النازعات 27-31] هو دليل قاطع بأن دحو الكرة الأرضية (أَخْرَجَ مِنْهَا مَاعَهَا وَمَرْعَاهَا) قد كان بعد انقضاء الأيام الستة التي تم خلالها خلق السماوات والأرض (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاعَهَا وَمَرْعَاهَا).

ويشير إلى هذا الفهم ما جاء في صحيح الحاكم: "في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) [الأعراف 172]. قال: جمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ (قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)، قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)، فلا تشرکوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتيبي، فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك ... الخ" (135).

الشاهد من الحديث هو (فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع)، والعبارة (ورفع لهم أبوهم آدم). هذا وقد دلّ الحديث على أنّ خلق الأرواح قد سبق خلق الأجساد، كما أنّ شهادة السماوات السبع والأرضين السبع على الأرواح تقتضي أنّ السماوات السبع والأرضين السبع قد خلقن قبل خلق الأرواح، ويشهد لهذا الآية الكريمة (مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ) [الكهف 51].

ويأتي هذا الفهم منسجماً مع كشوف العلم: يُقدّر عمر الكون بحوالي 15 مليار سنة (136)، وقد مضى من عمر الشمس حوالي 5 مليار سنة (137) (وأُخرج ضحّاها) أي وأبرز ضوء شمسها (82-90)، كقوله تعالى: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) [الشمس 1]. بينما مضى على تكوّن القشرة الصلبة للأرض حوالي 4.5 مليار سنة (138)، ومضى أقلّ من ذلك على تكوّن المحيطات الأولية (وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا* أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا).

أما هذا الحديث فيورد أنّ خلق الشجر -والذي يتطلب أرضاً مدحوة- قد كان في اليوم الثالث من الأيام التي يذكرها الحديث. إنّ هذا يستلزم أن تكون الأيام الواردة في الحديث الشريف غير أيام الخلق الستة. وإنّ هذا الفهم ليتفق مع قول الشراح من أنّ المقصود بالمكروه (وخلق المكروه يوم الثلاثاء) هو ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض (132). وقد ثبت علمياً أنّ تشكّل المعادن الثقيلة قد جاء في مرحلة متأخرة من مراحل الخلق؛ إذ هو محتاج إلى فترة زمنية كبيرة (139). ويقوّي هذا الفهم أنّ الحديث الصحيح يورد سبعة أيام، أمّا الآيات الكريمة فتتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام. وكذلك فإنّ هذا الفهم يوفّق بين الآيات والحديث الصحيح. كما ويدعم هذا الفهم أنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: (حدثنا قتيبة حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قل: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) (140). إنّ الحديث يدلّ على أنّ الأيام الستة التي خلقت فيها السماوات والأرض لم تكن أياماً فلكية، تعتمد طلوع الشمس وغروبها. وإنّما هي سابقة لخلق آدم، ولم يكن خلق الشمس قد اكتمل فيها بعد. وإنّه لمن المناسب أن يكون ليوم الجمعة الذي فيه خلق آدم نفس طول يوم الجمعة الذي فيه أدخل الجنة، ولكلّ طول يوم الجمعة الذي فيه أخرج منها (حوالي 24 ساعة).

إنّ قوله -صلى الله عليه وسلم- (خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد)، يؤكّد أنّ المقصود بالرّواصي في الآية: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين) [فصلت 10] هو ما ذهب إليه الباحث من أنّ الرّواصي هي المادّة التي بدأت تتشكّل وترسو بكميّات كبيرة في الأجزاء العليا من الأرضين السبع.

أورد صاحب البحر المحيط (141): قوله (في ستة أيام) ظرفاً لخلق الأرض (كرتنا الأرضية) لا ظرفاً لخلق السماوات والأرض، فيكون (في ستة أيام) مدة لخلق الأرض (كرتنا الأرضية) بترتها وجبالها وشجرها ومكروها ونورها ودوابها وآدم عليه السلام كما أشار الحديث الثابت الصحيح (132).

وبتسائل الشعراوي (142) "هل خلق الله يحتاج إلى علاج حتى يتطلب الزمن الممتد؟ ويجب بالقول: إن ربنا يخلق ب (كن)، ونحن البشر نعالج على حسب قدرتنا لنصنع شيئاً، وكل عملية نقوم بها تأخذ زمناً، لكن من يخلق بكلمة (كن) فالأمر بالنسبة له هين جداً. لكن لماذا جاء بخير الخلق في ستة أيام؟ نعلم أن هنالك فرقاً بين ميلاد الشيء وبين تهيئته للميلاد. ويضرب لذلك مثلاً بصانع الزبادي الذي يكتفي بأن يضع عناصر التحمّر على الحليب لتتفاعل ... إذن فخلق الله السماوات والأرض في ستة أيام لا يعني أن الستة أيام كلها كانت مشغولة بالخلق، بل قال سبحانه (كن) وبعد ذلك تأخذ مكوثات السماوات والأرض قدرها ومراحلها، لأن ميلادها سيكون بعد ستة أيام ... لقد خلق سبحانه السماوات والأرض دون تعب، فهو سبحانه يعالج مسألة الخلق بأمر (كن)، فكانت السماوات والأرض".

أورد الخطيب (143): "الأيام الستة ليست بياناً للزمن الذي عملت فيه القدرة هذا الخلق للسماوات والأرض - كما يذهب إلى ذلك أكثر المفسرين - فذلك فهم خاطيء لقدرة الله، التي تحكم الزمن ولا يحكمها.. (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون). فهذه الأيام الستة هي المدة التي ينضج فيها خلق السماوات والأرض، وهي الوعاء الزمني لخلق السماوات والأرض، وتسويتها على الصورة التي أرادها الله وذلك كما يتخلّق الجنين في بطن أمه، ويتم خلقه في تسعة أشهر .. وهكذا الشأن في كل مخلوق .. له وعاء زمني يتخلّق فيه، وأجل محدود ينتهي إليه".

وقد سبق بيان ما يرجّحه المفسرون من أن طول اليوم الواحد من أيام خلق السماوات والأرض هو ألف سنة مما نعدّ. هذا ويورد الدكتور الطائي (144) قوله: "أن القول بتمام الخلق خلال ستة آلاف سنة قمرية مخالف لكشوفات العلم الصحيح التي تقدر عمر الكون ما بين (10 - 20) مليار سنة".

ويرى الباحث أن عمر الكون حالياً يختلف تماماً عن الأيام الستة التي تم فيها خلق السماوات والأرض. إن الأيام الستة التي تم فيها خلق السماوات والأرض هي فترة حضانة أشبه بمرحلة تكوّن وتخلّق الجنين في رحم أمه. إن هذا الاختلاف شبيه باختلاف عمر الإنسان عن فترة تخلّقه جنيناً. ويورد الدكتور الطائي في الكتاب نفسه رأي الدكتور منصور محمد حسب التي في كتابه الكون والإعجاز العلمي للقرآن من أن عمر الأرض الجيولوجي؛ أقدمية تسخيرها لحياة الإنسان حتى الآن (4.5 مليار سنة) هو طول يومين من

أيام الخلق هذه. وبالتالي فكلاهما يخلط بين العمر الحالي للكون وبين الأيام الستة التي تم فيها خلق السماوات السبع والأرضين السبع. وبالتالي فإن هذا يدحض رأي الطائي وحسب التي القائل بأن عمر الأرض الجيولوجي (4.5 مليار سنة) يعدل طول يومين من أيام الخلق. وقبل سنتين ذكر لي الدكتور الطائي أنه قد تخلّى عن هذه الفكرة والتي كان قد أخذها من كتاب الدكتور منصور محمد حسب النبي.

هذا ويرى الفيزيائي الشهير ستيفن وينبرق (Steven Weinberg) في كتابه الدقائق الثلاث الأولى (The first three minutes) أن الكون يستمر في توسّعه وتبرّده، وأن الأحداث المهمة تأخذ مجراها عندما يصبح عمر الكون أكبر من حوالي 0.7 مليون سنة: حيث يصل الكون إلى حالة التمايز بين المادة والإشعاع، ويصبح شفافاً للإشعاع (Transparent to radiation) وتصبح الذرات مستقرة (stable)، وتبدأ المادة تشكّل المجرات والتجوم بعد هذا العمر (69). ولقد أوردنا آنفاً أن السماء كانت في الحالة الدخانية (Opaque coupled state) عند بدء الخلق، وأن الله خلق التور (Transparent decoupled state) يوم الأربعاء؛ كما ثبت في الحديث الشريف الذي أوردنا آنفاً. وبينما أن الأيام الواردة في الحديث هي غير أيام الخلق الستة؛ وإثما هي الأيام المعهودة. إن هذا يستلزم أن طول أيام الخلق الستة أقل من الحقبة الزمنية 0.7 مليون سنة التي تلزم حتى يحصل التمايز ويرى التور (68-69). هذا وإن درجة حرارة المادة التي تشكّل منها كل من البناء السماوي والمجرات القريبة منه أقل من درجة حرارة المادة القريبة نسبياً من مركز الانفجار؛ مما يجعل طول أيام الخلق الستة أقل من 0.7 مليون سنة ويفارق أكبر. إذا قلنا أن تكون أيام الخلق الستة أقل من 0.7 مليون سنة، ولم نستبعد أن تكون هناك وسائل يجعلها العلم، قد يجعلها الخالق لتبريد كل من مادة البناء السماوي والأرض، فلا يبعد أن يكون طول اليوم الواحد من أيام الخلق ألف سنة مما نعدّ. ويؤكد هذا التبريد الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال: قلل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. ولولا أنّها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعت بها. وإنّها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها) (145). أقول لعلّ مادة بناء السماوات والأرضين قد تمّ تبريدها بالماء كذلك؛ مما يسارع في تبرّدها وتشكّلها. فلقد قلنا آنفاً: لعلّ مادة بدء الخلق هي بعض الماء الذي سبق وجوده خلق السماوات والأرض.

إذن هو سبحانه وتعالى يخلق بأمر (كن) ويقدر وعاءً زمناً لتفاعلات الخلق. وهذا الزمن طال أو قصير ليس لينقص من القدرة الإلهية. وأرجح أن الوعاء الزمني لخلق السماوات السبع والأرضين السبع هو (ستة أيام) بطول ستة آلاف سنة مما نعدّ؛ هذا إذا كانتا مخلوقتين من مادة نيوكلونية (Nucleonic). ويرى بعض المفسرين أنّهم بقدر ستة أيام من أيام الدنيا، وقد يرجح هذا الرأي إذا كانتا مخلوقتين من مادة غير

نيوكلبيوتية (Nonnucleonic). هذا والله سبحانه وتعالى هو العالم بطولها. لا بل إنَّ علمي الكون والفلك لم يتوصَّلا بعد لمعرفة شيءٍ يذكرُّ عن بناء السَّمَاوَاتِ السَّبعِ أو بناء الأرضين السَّبعِ (29، 119).

المطلب الخامس: توسَّع بناء السَّمَاءِ مستمرٌّ إلى يوم القيامة

ستعامل مع بناء السَّمَاءِ على آتِه مرآةً كرويةً متوسَّعةً، ممَّا يؤدي إلى انخفاض درجة حرارة الكون. إنَّ أهمَّ ما يميَّز هذا التَّموذج أمران: ثبات عدد الفوتونات (Photons)، وأنَّ التناقص في طاقة الإشعاع الكوني يساوي الشغل المبذول (Work) في توسَّع الكون (117). عند توسَّع الكون مع ثبات الاعتلاج (Entropy)، تكون العلاقة عكسيةً بين درجة حرارة الإشعاع الكوني T ونصف القطر R للبناء الشَّمَاوي الكروي؛ $TR = \text{ثابت}$. وبالتالي فإنَّ العدد الكلي، N ، للفوتونات الموجودة في الكون يكون ثابتاً (117):

$$N = \frac{4}{3} \pi \left(\frac{k}{hc} \right)^3 (T_i R_i)^3 (60.42198) = \text{const } t$$

هذا ويمكننا المقارنة بين نصف قطر الكون في حالتين: الأولى R_d عندما كان الإشعاع والمادة مقرونين عند درجة الحرارة 3000 كلفن، ونصف القطر الثاني R_3 عندما أصبحت درجة حرارة الإشعاع 3 كلفن. نستطيع تحديد حقبة التمايز (Epoch of decoupling) بين المادة والإشعاع على التحو (146):

$$Z = R_3 / R_d = 3000 / 3 = 1000$$

يلاحظ أنَّ قطر الكون قد تضاعف حوالي ألف مرَّة بعد التمايز. ومما أنَّ الإزاحة الحمراء ترصد لغالبية المجرات، فإنَّ توسَّع الكون لم يتوقَّف.

إنَّ العلاقة بين كثافة المادة ρ_d عند حصول التمايز، وقيمتها ρ_3 عندما أصبحت درجة حرارة الإشعاع 3 كلفن هي

$$\rho_d = (1000)^3 \rho_3 \cong 10^9 (10^{-27} \text{ kgm}^{-3}) = 10^{-18} \text{ kgm}^{-3}$$

إنَّ قيمة الكثافة عند حصول التَّمايز أكبر بحوالي 10^9 مرَّة من القيمة المرصودة لمتوسَّط الكثافة داخل مجرتنا؛ والتي تقدَّر بحوالي $10^{-27} - 10^{-28} \text{ kgm}^{-3}$. ولو افترضنا أنَّ الكون قد توسَّع بسرعة ثابتة، فإنَّنا نستطيع أن نقارن بين عمر الكون في الحالتين: $t_d = t_3 / 1000$.

لو افترضنا أن t_d حوالي 0.7 مليون سنة، فإن t_3 يكون حوالي 700 مليون سنة. وبهذا يكون توسع البناء السماوي قد توقف عندما كان عمر الكون حوالي 700 مليون سنة. وبما أن الإزاحة الحمراء مؤشر على استمرارية توسع بناء السماء، في حين أن درجة حرارة إشعاع الخلفية الكوني لا تزال 3 كلفن، فإن هذا يتطلب أن يتعرض البناء السماوي للتسخين من قبل المجرات، كما أنه يتبرّد مع التوسّع (60). وهذا يؤكد أن بناء السماء في توسّع مستمر إلى أن تقوم الساعة (60)، مصداقاً للآية (والسّماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون) [الذّاريات 47].

الخاتمة:

كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. فلقد كان الله ولم يكن شيءٌ غيره، وكان عرشه على الماء. فخلق الماء أولاً ثم خلق العرش. يرى المفسرون أن الماء هو مادة بدء الخلق. حدث انفجارٌ عظيم في مادة بدء الخلق. ومع توسّع وتبرّد الكون كان خلق الأرض جميعاً (أي الأرضين السبع مقبوضة ومجموعة)، وكان خلق الأرضين السبع وخلق السماوات السبع وتسويتهن في ستة أيام. إذا كانت مادة خلق السماوات السبع والأرضين السبع مادة نيوكليونية، فإن طول اليوم الواحد من أيام خلقهنّ يعدل ألف سنةٍ تماماً. أما إذا كانت مادة خلقهنّ مادة غير نيوكليونية، فيرجح أن أيام خلق السماوات السبع والأرضين السبع هي بطول الأيام الأرضية (24 ساعة). لقد بدأ خلق الأرضين السبع مع الانفجار العظيم، ومع نهاية اليوم الثاني اكتمل خلقها. ومع نهاية اليوم الرابع خلق الله في أعاليها المادة التي كانت أساساً لدحو الأرض المتأخّر. ومع نهاية اليوم السادس اكتملت تسوية البناء السماوي الطبقي بعد أن استقلت طبقاته مكانياً وحرارياً. هذا وإنّ بناء السماء واسع ومتوسّع إلى أن يطوى يوم القيامة. وبعد انقضاء الأيام الستة الخاصة بخلق السماوات السبع والأرضين السبع، أخرج الله سبحانه وتعالى ضحى السماء بنور الشمس، وخلق التحوم والمجرات ودحيت الكرة الأرضية؛ إذ أخرج الله منها ماءها ومرعاها. ويأتي هذا التسلسل منسجماً مع ما أثبتته العلم من عمرٍ للكون وللشمس، وللزمن الذي مضى على تكوّن القشرة الصلبة للأرض.

قائمة المصطلحات:

- 1- البلازما (Plasma): غاز شبه متعادل (Quasineutral) يتكوّن من جسيمات مشحونة وأخرى متعادلة، ويتّسم الغاز بالسلوك الجماعي (Collective behavior).
- 2- الكون كلّ ما هو مخلوق موجود أو قد يوجد على مرّ الزّمان والمكان.
- Universe: The totality of all space and time; all that is; has been, and will be.
- 3- المادّة المظلمة (Dark matter): مادّة لا ترى في الحزمة البصريّة المرئيّة ولا في غيرها من الأطوال الموجيّة (not visible in optical or other wavelengths)، وتكتشف عن طريق تأثيرها الجذبوي (gravitational effect)، وتشكّل أكثر من 95% من مادّة الكون.
- 4- المجرّة (Galaxy): وحدة البناء على النطاق الكوني الكبير، وتضمّ حوالي 10^{11} نجم تجتمع جذبوياً داخل المجرّة.
- 5- الإزاحة الحمراء (Red shift): الاستطالة التي تحصل للأطوال الموجيّة المنبعثة من مصدر يتباعد من الرّاصد.
- 6- مستويات الطّاقة (Energy levels): تقرّر ميكانيكا الكم أنّ طاقة إلكترونات الدّرة لا تأخذ قيماً عشوائيّة. وإنّما تكون في مستويات مكمّمة (Quantized).
- 7- الانفجار العظيم (Big Bang): لحظة افتراضيّة لبداية الكون، والذي كان حارّاً وكثيفاً، وتمدّد سريعاً ليتبرّد وتنخفض درجة حرارته.
- 8- المادّة النيوكليونيّة أو النّوويّة (Nucleonic Matter): المادّة التي يتكوّن تركيبها النّووي من بروتونات ونيوترونات.

المراجع

- 1- البخاري، محمد بن إسماعيل (256 هـ)، صحيح البخاري مطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان 1418 هـ - 1997 م)، رقم 3191. أطرافه في: 3190، 4365، 4386، 7418.
- 2- (قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة). صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم 4797. وكذلك في سنن الترمذي، كتاب القدر، حديث رقم 2082. وكذلك في مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، حديث رقم 6291.
- 3- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب 1، ص 356. أخرجه سعيد بن منصور عن أبي عوانة بن أبي بشر عن مجاهد.
- 4- ابن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين أبي الفداء (ت 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفيحاء (دمشق الطبعة الأولى 1414 هـ- 1994 ميلادي)، أربع مجلدات. م 1، ص 102.
- 5- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور (ت 911 هـ)، دار الفكر (بيروت- لبنان الطبعة الثانية 1414 هـ- 1993 ميلادي)، ثمانية أجزاء. م 1، ص 102.
- 6- ابن كثير، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم. م 2، ص 575.
- 7- البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي (ت 791 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر (بيروت 1416 هـ- 1996 م)، خمسة أجزاء. ج 3، ص 221.
- 8- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف (654-754 هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر (بيروت- لبنان 1412 هـ- 1992 ميلادي)، تسعة أجزاء. م 3، ص 213.
- 9- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج 6، ص 355.
- 10- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت 1250 هـ)، فتح القدير الجامع بين فتي الرواية والدراية من علم التفسير، عالم الكتب (بلا تاريخ)، 5 أجزاء. ج 5، ص 247.

11- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت 671 هجري)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الخامسة 1417 هجري-1996 ميلادي)، واحد وعشرون مجلداً. م 4 ج 18 ص 115.

12-رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم 2149.

13-صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم 4996: حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم حدثني أبي عن عبيد الله بن مقسم عن عبد الله بن عمر قال رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر وهو يقول: يأخذ الجبار عز وجل سمواته وأرضيه بيديه ثم ذكر نحو حديث يعقوب.

14- حدثنا آدم (ثقة) حدثنا شيبان (ثقة) عن منصور (ثقة ثبت وكان لا يدلس) عن إبراهيم (ثقة يرسل كثيراً) عن عبيدة (ثقة) عن عبد الله.

15- صحيح البخاري، كتاب التوحيد، الأحاديث رقم: 6864، 6865، 6959.

16- صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث رقم: 4437.

17- صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، الأحاديث رقم: 4992، 4993.

18- الترمذي، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم 3162.

19- أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، الأحاديث رقم: 3409، 3878، 4138.

20- الرازي، محمد فخر الدين (ت 604 هج- 1208 م)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرازي، دار الفكر (بيروت 1414 هج-1993 ميلادي)، سبعة عشر مجلداً. م 14 ص 17-18.

21- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين (ت 721 هج)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر (بيروت 1414 هج- 1994 م). م 13، ج 24، ص 39-42.

22- البضاوي، ناصر الدين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 5، ص 77.

23- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف (654-754 هجري)، البحر المحييط في التفسير، دار الفكر (بيروت-لبنان 1412 هج- 1992 م)، عشرة أجزاء. جزء 9 ص 220.

24- العمادي، أبي السعود محمد بن محمد (951 هجري)، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار احياء التراث العربي (بيروت الطبعة الرابعة 1414 هـ-1994 م)، تسعة أجزاء جزء 7 ، ص 262-263.

25- القرطبي، أبي عبدالله محمد، الجامع لأحكام القرآن. ج 15 ص 181.

26- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت 728 هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت 1416 هـ-1996 م). م 6، ص 15.

27- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (467-538 هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وغيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر (بيروت-لبنان 1397 هـ-1977 م)، أربع مجلدات. م 3 ص 409.

28- العمري، حسين، الأرضون السبع لغز المادة المظلمة وبوابة تكميم الكون، مقبول للنشر في مجلة كلية المعارف الجامعة، محافظة الأنبار - العراق، 2003.

29- Fairal, Anthony, Large scale structure in the universe, Wiley-Praxisseries In .Britain, 1998, p 105-106.

30- صحيح البخاري، كتاب المظالم، حديث رقم 1120.

31- صحيح البخاري، كتاب المظالم، حديث رقم 1119.

32- صحيح البخاري، كتاب المظالم، أحاديث رقم: 2272-2274.

33- صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، أحاديث رقم: 2956، 2957، 2959.

34- صحيح مسلم، كتاب المساقاة، أحاديث رقم: 3020-3023، 3025.

35- أحمد، المسند، كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة، الأحاديث رقم: 1542، 1547، 1522، 1553، 1554، 1556، 1559، 1562، 5481.

36- أحمد، المسند، باقي مسند المكثرين، الأحاديث رقم: 8658، 8683، 9212.

37- أحمد، المسند، مسند الشاميين، الأحاديث رقم: 16618، 16913، 17131.

38- أحمد، المسند، باقي مسند الأنصار، الأحاديث رقم: 21822، 21839، 23217، 24947، 23364.

39- سنن الدارمي، كتاب البيوع، حديث رقم 2492.

40- الترمذي، كتاب الدّيات، حديث رقم 1338.

41- رضي الدّين الإستراباذي، ت 686 هج، شرح كافيّة ابن الحاجب، تحقيق إميل يعقوب، جزء 1، دار الكتب العلميّة، بيروت 1998، خمسة أجزاء، جزء 3، ص 375-376.

42- Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed. 1994, p 496.

43- الخازن، علاء الدّين علي بن محمّد البغدادي (ت 725 هج)، لباب التأويل في معاني التنزيل. دار الفكر (بيروت). م 4، ص 184.

44- ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب (ت 546 هج)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلميّة (بيروت-لبنان 1413 هج-1993 م)، خمسة أجزاء . م 5، ص 181.

45- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف. م 4، ص 20.

46- البقاعي، برهان الدين (ت 885 هج)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلميّة (بيروت-لبنان 1415 هجري-1995 ميلادي)، ثمانية أجزاء . ج 7، ص 285.

47- النيسابوري، نظام الدّين القميّ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. م 6، ص 189-190.

48- ابن كثير، عماد الدين، تفسير القرآن العظيم. م 4، ص 303.

49- البيضاوي، ناصر الدّين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 5، ص 241.

50- الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان (654-745 هجري)، النهر الماد من البحر إلى المحيط، دار الجيل (بيروت-لبنان 1416 هجري-1995 ميلادي)، ستّة أجزاء . م 5، ص 244.

51- السمرقندي، أبي الليث نصر بن محمد (ت 375 هج)، بحر العلوم، دار الكتب العلميّة (بيروت-لبنان 1413 هجري-1993 ميلادي)، ثلاثة أجزاء. ج 3، ص 280.

- 52- القاسمي، محمد جمال (ت 1332 هـ - 1914 ميلادي)، محاسن التأويل، دار الفكر (بيروت-لبنان الطبعة الثانية 1398 هـ - 1978 م)، سبعة عشر جزءاً. م 7، م 9، ص 202-203.
- 53- أبو الفرج، جمال الدين الجوزي (ت 597 هـ) زاد المسير في علم التفسير. دار الفكر (بيروت - لبنان الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م)، ثمانية مجلدات. م 7، ص 212.
- 54- الماوردي، تصنيف أبي الحسن البصري (364-450 هجري)، مراجعة وتعليق السيد بن عبد الرحيم، التكت والعيون تفسير الماوردي، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، ست مجلدات. م 5، ص 373-374.
- 55- الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي (بيروت-لبنان الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م)، ستة أجزاء. ج 6، ص 93.
- 56- حوى، سعيد، الأساس في التفسير. دار السلام (بيروت 1409 هـ - 1989 م). م 10، ص 5522.
- 57- العمادي، أبي السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. م 7-9، ص 142-143.
- 58- السمين الحلبي، شهاب الدين أبي العباس، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى (1414 هـ - 1994 م)، ج 6، ص 192.
- 59- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف (654-754 هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر (بيروت-لبنان 1412 هـ - 1992 م)، تسعة أجزاء. م 9 ص 560.
- 60- العمري، حسين، بناء السّماء والمادّة المظلمة الباردة دراسة مقارنة بين الفلك والقرآن. مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2002. م 17، عدد 6، ص 187-211.
- 61- Zeilik, Michal, Astronomy the Evolving Universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed., 1994, p483.
- 62- Zeilik, Michal, Astronomy the Evolving Universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed., 1994, p487.
- 63- Weinberg, Steven, The First Three Minutes, Toronto, 1984, pp 45-46.

- 64- القرطبي، أبي عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن. م 6، ج 11 ص، 188.
- 65- الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير بن كثير، دار القرآن الكريم (بيروت - 1402 هـ - 1981 م). ثلاثة أجزاء. م 2، ص 506.
- 66- Weinberg, The First Three Minutes pp 49-113.
- 67- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور. ج 1، ص 106-107.
- 68- Weinberg, The First Three Minutes pp 48-49.
- 69- Weinberg, The First Three Minutes pp 104-105.
- 70- الطبري، ابن جرير، (ت 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت 1415 هـ - 1995 م). م 1، ص 272-281.
- 71- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 1، ص 216-220.
- 72- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 1، ص 216.
- 73- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف. م 2، ص 570.
- 74- السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير المأثور. ج 1، ص 107.
- 75- السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير المأثور. ج 1، ص 106.
- 76- مجمع اللغة العربية الإدارية العامة للمعجمات وإحياء التراث، مصر، المعجم الوسيط. دار الدعوة استنبول تركية، ج 1، ص 643.
- 77- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف. م 1، ص 270.
- 78- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت 728 هـ)، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت 1416 هـ - 1996 م). ج 1، ص 210.
- 79- العمادي، أبي السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ج 1، ص 78.

- 80- البضاوي، ناصر الدين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 1، ص 273.
- 81- الهواء هو غلاف يحيط جو الأرض. وبعد الخروج من الغلاف ينتهي الهواء وتتواجد الجسيمات الغبارية السديمية (Interstellar Grains or medium).
- 82- البضاوي، ناصر الدين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 5، ص 448.
- 83- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف. م 4، ص 214.
- 84- القرطبي، أبي عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن. م 19 ص 133.
- 85- أبو الفرج، جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير. م 8، ص 176.
- 86- العمادي، أبي السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم. ج 9، ص 101-102.
- 87- الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل. م 4، ص 351-352.
- 88- الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر (بيروت-لبنان 1970 ميلادي)، ثلاثون جزءاً. م 16، ص 1441-1442.
- 89- الزحيلي، أ.د. وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر (بيروت-لبنان الطبعة الأولى 1411 هج-1991م، اثنان وثلاثون جزءاً. م 30، ص 45.
- 90- جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي (بيروت 1412 هـ- 1991 م). م 25، ص 35.
- 91- Rowan-Robinson, Michael Cosmology, Clarendon press. Oxford, 3rd. ed. 1996, p 68.
- 92- Weinberg, the first three minutes pp 94-113.
- 93- القرطبي، أبي عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن. ج 7 ص 140.
- 94- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 1، ص 216-217.

- 95- القرطبي، أبي عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن. م 1، ج 1، ص 176. قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى- الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.
- 96- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 1، ص 218.
- 97- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 1، ص 218-219.
- 98- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 1، ص 346.
- 99- الطبري، ابن جرير، (ت 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر (بيروت 1415 هـ - 1995 م). م 1، ص 279-281.
- 100- البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 1، ص 276.
- 101- النيسابوري، أبي الحسن، الوسيط في تفسير القرآن المجيد. ج 1، ص 112.
- 102- الزحيلي، أ.د. وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج 1، ص 116.
- 103- بن منظور، (630-711 هـ)، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، الطبعة الثالثة (1413 هـ - 1993 م)، م 6، ص 442-449.
- 104- الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم. م 1، ص 74.
- 105- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل. ج 2، ص 91.
- 106- بن منظور، لسان العرب. م 11، ص 209.
- 107- أبو الفرج، جمال الدين الجوزي، زاد المسير في علم التفسير. م 7، ص 56.
- 108- أبو حيان، محمد بن يوسف، النهر الماد من البحر المحيط. م 5، ص 90.
- 109- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. م 9، ص 292.
- 110- ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب (ت 546 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. م 5، ص 7.

- 111- النيسابوري، أبي الحسن، الوسيط في تفسير القرآن المجيد. ج 4، ص 27.
- 112- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج 24، ص 193.
- 113- البيضاوي، ناصر الدين الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج 5، ص 109.
- 114- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 13، ص 159.
- 115- الرّازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. م 1، ص 171.
- 116- الرّازي، محمد فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. م 16، ص 47-48.
- 117-Omari, Hussain Y. Rashed, Finite closed universe contained in a spherical shell SAMA', Al-Manarah, vol. 4, No. 2, 1999.
- 118- العمري، حسين، المادة الكونية المظلمة الحارة حقيقة قرآنية وضرورة كونية، قيد النشر.
- 119-Fairal, Anthony, Large scale structure in the univers, Wiley-Praxisseries In, Britain, 1998,p 158-159.
- 120-Fairal, Anthony, Large scale structure in the univers, Wiley-Praxisseries In, Britain, 1998,p 160.
- 121-Roos, Matts, Introduction to cosmology, John Wiley and Sons, England, 1994, p 102-103.
- 122- Rowan-Robinson Michael Cosmology, 3rd. ed. p 93.
- 123- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 3، ص 153.
- 124-Mushaf Al-Madinah An-Nabawiyah, The Holy QUR-AN, English translation of the meaning and commentary, The presidency of the Islamic researches, Ifta, King Fahd Holy QUR-AN printing complex, p 1456.
- 125- العمادي، أبي السعود محمد بن محمد، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم. ج 8، ص 4.
- 126- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 9، ص 290.

- 127-Padmanabhan, T. After the first three minutes the history of our universe, Cambridge University press, UK, first ed., 1998, p 129, 138, 157.
- 128- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 9، ص 291.
- 129- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 13، ص 164.
- 130- الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف. م 3، ص 445.
- 131- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 13، ص 167.
- 132- التّووي، صحيح مسلم بشرح التّووي، م 6، كتاب صفة القيامة والجنة والنّار. قال إبراهيم حدثنا البسطامي "وهو الحسين بن عيسى" وسهل بن عمّار وإبراهيم بن بنت حفص وغيرهم عن حجاج بهذا الحديث.
- 133- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 1، ص 345.
- 134- الألوسي، أبي الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. م 13، ص 162.
- 135- ابن قيم الجوزيّة، كتاب الرّوح، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت الطبعة الأولى (1421 هـ) — 2000 م)، ص 188. من حديث أبي جعفر الرّازي: ثنا الرّبيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب. وهذا إسناد صحيح.
- 136- Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed., 1994, p 140-443.
- 137- Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed., 1994, p 289.
- 138- Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed., 1994, p 156.

- 139- Phillips, A. C. The physics of stars, John Wiley and Sons, Baffins Lane, Chichester, 1994, p 32, 128-129.
- 140- صحيح مسلم، حديث رقم 1410.
- 141- أبو حيان الأندلسي الغرناطي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. ج 5 ، ص 64- 65.
- 142- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي. م 7، 4166- 4167.
- 143- الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن. ج 8، ص 411- 412.
- 144- الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان. ص 162- 163.
- 145- في الزوائد، أخرجه الحاكم كما رواه المصنف، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين. وبعضه في الصحيحين من حديث أبي هريرة. باب صفة النار، رقم 4318.
- 146- Rowan-Robinson, Michael Cosmology, Clarendon press. Oxford, 3rd. ed. 1996, p 82.